وأنا شخصيا أرى أن ذلك مسلك ضار بالوطن. فهذه الفتافيت يراها فى المدن ناس ليست لديهم أية فكرة عن الريف فيأخذون عن الفلاحين فكرة مخيفة لأننى أعرف أن حياة الفلاحين أو المعيشة فى القرى لا يمكن أن تصل إلى هذا السوء. فليس كل عمدة جبارًا ولا كل شيخ غفر لصًا غشاشا ولا كل وكيل عمدة قاتلا متآمرا منعدم الضمير.

وأنا لا أقوم هذا الكلام دفاعًا عن الفلاحين فأنا فى هذا الخصوص لست ساداتيا أتحدث عن الحياة الملائكية فى القرى. ولا أرى أن قرانا هى أصل كل فضيلة أو أن الحياة فيها حياة أخلاقية مثالية وقد كانت نفس السادات قد كبرت فى عينه حتى تصور أنه يعلمنا. وكان بعجبه إذا ذهب إلى القرى أن يرى الفلاحين يتقافزون على الأشجار وأعمدة التليفون ويهتفون بالروح بالدم نفديك يا سادات، وفى أفلام التليفزيون الإخبارية من ذلك كيلو مترات. فلما حم القضاء ولبى السادات نداء ربه على الصورة الحزينة التى كانت لم يفده من هؤلاء جميعا واحد بروح أو بدم، والمسكين ذهب إلى لقاء ربه دون جناز أو وداع. وكنا نحن الذين عادانا دون ذنب وقال إننا أفنديات مغيش فى التكييف، كنا نحن الوحيدين الذين بكيناه لأننا نعرف فضله العظيم على هذا البلد.

والمؤرخون الواعون فى الدنيا كلها لا يتعاطفون مع الفلاحين لأن الفلاحين تقليديون سلفيون لا يفكرون قط فى تقدم. وهم أنانيون مقفلون على أنفسهم ولا يسمحون لأحد بالتدخل فى حياتهم واهتمامهم بالوطن قليل، حتى تمسكهم بالدين متأخر جامد يقوم على الإيمان بالأولياء والقديسين وأصحاب الكرامات. وفى كل قرية من أرياف مصر ولى دفين يؤمن الفلاحون به دون أن يدروا أكثر من إيمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم. فرسول الله لم يكن يعلم الغيب وهو القائل (لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير، وما مسنى الضر) ولكن الشيخ هدهد والشيخ